المحاضرة: 8

مناهج تعليم اللغات

المنهج التقليدي والمنهج البنيوي في تعليم اللغات

تمهيد:

تعدّ المناهج الدراسية خططا وأنظمة يتم عن طريقها تزويد المتعلمين بمجموعة من الفرص التي تعمل على تحقيق أهداف عامة مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة، تساعد على تحقيق النمو الشامل من جميع النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والفنية للمتعلمين. وقبل الخوض في تفصيل هذه المناهج نتناول ابتداء تعريف مصطلحي المناهج والتعليم

1- تعريف المنهاج:

لغة: هناك اتفاق على معنى المنهاج الذي يورده ابن منظور في اللسان الذي تعني الطريق الواضح جاء، حيث قال:" طريق نهج بين واضح وهو النهج ...أو نهج الطريقُ: وضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا "()، وأصل الكلمة في الانجليزية "Curriculum"، وهي كلمة مشتقة من جذر لاتيني تعني مضمار سباق الخيل. الذي من شروطه الوضوح حتى يسهل فيه السباق.

أصطلاحا: له تعريفان:

أ-المفهوم التقليدي: هو مجموعة المواد والمعارف والمحتوى، التي على المتعلم تلقيها في المدرسة من المعلم، مصدر المعرفة.()

ب-المفهوم الحديث: يتمحور عموما على أنه مخطط تربوي يتضمن عناصر مكونة من أهداف ومحتوى وخبرات تعليمية وتدريس وتقويم، مشتقة من أسس فلسفية واجتماعية ونفسية ومعرفية، مرتبط بالمتعلم ومجتمعه، ومطبقة في مواقف تعلميه تعليمية داخل المدرسة وخارجها اشراف منها، بقصد الاسهام في تحقيق النمو المتكامل لشخصية المتعلم بجوانبها العقلية والوجدانية والجسمية، وتقويم مدى تحقق ذلك كله لدى المتعلم.()

من خلال هذين التعريفين يتضح لنا الفرق بين معنى المنهاجين، فالمفهوم الأول يتمحور حول المعلم مصدر المعرفة التي تعطى للمتعلم، أما الثاني فتظهر فيه تغير النظرة إلى المنهج، حيث تصبح المدرسة بمرافقها تؤدي دورها الأكبر خدمة للمجتمع في بناء نمو شامل للمتعلم معرفيا ومهاريا ووجدانيا، وليس الجانب العلمي أو المعرفي فقط.

ثانيا: تعريف التعليم:

- **لغة:** جاء معنى التعليم في **اللسان:** (وعَلَّمه العِلْم وأَعْلَمه إياه فتعلَّمه، وفرق سيبويه بينهما فقال: عَلِمْتُ كأَذِنْت، وأَعْلَمْت كآذَنْت، وعَلَّمْته الشيءَ فتَعلَّم.()

أما في **المعجم الوسيط** فقد جاء في معنى التعليم ما يلي: هو من:(... يتعلمه (اعتلم) الْبَرْق لمع فِي الْجَبَل وَالشَّيْء علمه (تعالم) فلَان أظهر الْعلم والجميع الشَّيْء علموه (تعلم) الْأَمر أتقنه وعرفه (تعلم) (بِصِيغَة الْأَمر) اعْلَم ...)( ) فالتعريفان متقاربان في المعنى

- **اصطلاحاً:** هناك تعاريف كثيرة منها:

- التعليم هو عملية تعديل في السلوك أو الخبرة(). بنقل المعلومات من الكتب أو من عقل المعلم إلى عقل المتعلم.وفق خطة منظّمة محددة مسبقا()

وحتّ لا نخرج عن اللسانيات التطبيقية في معالجة مسألة تقليدية وحداثة المنهاج، فإننا سنحاول تناول الموضوع من خلال طريقتين تعليمتين، تمثل الأولى مثالا تعليميا للمنهاج التقليدي ضمناها التدريس بالمضامين والتدريس بالأهداف وتمثل الثانية مثالا تعليميا للمنهج البنيوي في تعليم اللغات، ضمناها المقاربة بالكفايات.

1- المنهج التقليدي: ويشمل طريقتين بيداغوجيتين، التدريس بالمضامين والتدريس بالأهداف

أ- التدريس بالمضامين: تقوم هذه الطريقة على أساس المحتويات، فالنمط البيداغوجي بها تقليدي حيث أنّ المدرس يشرح الدرس، ينظم المسار، وينجز مذكرات،" فالمعلم هو مالك المعرفة"() ويكون التلميذ متلقيا، يستمع ويحفظ، يتدرب، يعيد ما حفظه، أي أن وظيفة التلميذ تقتصر على القيام بوظيفتين

- الأولى: اكتساب المعرفة كمقررات جاهزة كمّا ونوعا.

- الثانية: استحضار المعرفة في حالة المساءلة.

- مزاياها:

-احترام منطق المادة

اكتشاف المعارف.

- عيوبها: و هي كثيرة نذكر منها: - التركيز على المادة -الاهتمام أساسا بإيصال المعلومات(المعارف). - النقص الكبير في الاهتمام بمنطق التعلّم. - الصعوبات في اختيار وسائل التقويم.

ولكن نحن " لا نعيب الطريقة لأن الحاجة كانت ملحة في مرحلة خرجت فيها الجزائر من ظلم المستعمر، إلا أنه كان لابد من إعادة النظر في المنظومة التربوية وفي التعليم من حيث التطبيق والوسائل التقويمية بحيث تكون الأولوية لتشجيع الملكات المبدعة، ولكن هذا لا يعني أن التدريس بالمضامين قد أهمل تنمية القدرات والمهارات بل اعتمد المعرفة من أجل الوصول إلى تنميتها"().

وهذا ما أدى إلى الانتقال إلى طريقة أحسن وهي:

ب-بيداغوجيا الأهداف

1- مفاهيمية الأهداف من حيث البيداغوجيا:

يطلق مصطلح الهدف تربويا ويراد به:" تصور فكرى مسبق عن الحالات أو النتائج النسبية لتطور ما يتم اختيارها وتحديدها من الواقع الموضوعي ويتم تحقيقها بواسطة النشاط الفاعل للإنسان()"

أي تلك الغايات الدقيقة المتوقع أن تطرأ على البنية المكونة لشخصية المتعلمين أثناء وبعد احتكاكهم بمكتسبات تعليمية وتفاعلهم معها عبر مواقف تعليمية محدد ة كدليل على حدوث التغيرات المبرمجة سلفا ولكن باعتبارها نتائج يرجى تحققها من العملية التعليمية.

" وتأتي عملية وضوح الأهداف التربوية ودقتها في المقام الأول بالنسبة للعاملين في تخطيط المناهج وتطويرها وتنفيذها. فهذه الأهداف الواضحة تمثل الأساس السليم لكل نشاط تعليمي هادف، والمصدر الدقيق لتوجيه العمل التعليمي التربوي نحو ما نسعى إلى تحقيقه من نتائج للتعليم المرغوب فيه. كما نختار على أساس هذه الأهداف محتوى المنهج المدرسي الفاعل، الذي يتمثل في مجموعة الحقائق والمفاهيم والنظريات التي تسهم في تحقيق الأهداف التربوية الموضوعة " ()، حيث تحدث هذه التغيرات في جزء من جوانب النمو في المتعلم أو في كلها عقليا، وجسميا، وأخلاقيا، واجتماعيا.

2- مستويات الأهداف: (حسب تصنيف بيرزيا سيزار(*)

أ- الغايات: يحددها الدولة وتثبت في الدستور باعتبارها من ضمن استراتيجيات سياستها اللغوية.

2- المرامي: ترتبط مباشرة بالنظام التربوي() مناهجه وبرامجه حيث تتولى وزارة التربية صياغتها

3- الأهداف العامة: فتظهر على مستوى الإنجاز فتصف جزءا من برنامج أو منهاج، تحدد قدرات ومهارات،

4- الأهداف الخاصة: المعلم هو الذي يقوم بصياغتها عندما يريد تقديم حصة تعليمية أو نشاط معين يتميز بنوع من الدقة والوضوح في الصياغة

5- الأهداف الإجرائية (السلوكية): وهي في **الاصطلاح** نقل حالة مفهوم أو مبدأ عام أو نظرية أو معارف عامة من مستوى النظري إلى المستوى التطبيقي الملموس يكون المتعلم قادرا على فعله أثناء الفعل التعلّمي،

4- الخلفية المعرفية لبيداغوجيا الأهداف:

يبدو لنا أن علماء التربية واللسانيات التعليمية خاصة قد أجمعوا على أنّ بيداغوجيا الأهداف ترتبط إبيستيمولوجيا (معرفيا) بالنظريات () السلوكية التي ترى أن معظم سلوكيات الإنسان متعلمة وهي بمثابة استجابات لمثيرات محددة في البيئة، من خلال علاقته بهذه البيئة يتعلم أنماط الاستجابات المختلفة.

إن هناك ارتباطا وثيقا بين السلوكية وبيداغوجيا الأهداف، يكمن في أن هذه البيداغوجيا قد نشأت في الإطار المعرفي الأنجلوساكسوني عموما والأمريكي خصوصا الذي تأسس على الفلسفة التجريبية والفكر البراغماتي بالأخص ().

إن معظم مؤسسي هذه البيداغوجيا من أمريكا من أمثال: رالف تايلر، بنيامين بلوم مثل ثورندايك، وكلارك هل وسكينر غيرهم. والذين يرون في العموم أنّ التعلم يحدث عند المتعلمين نتيجة سلسلة من المثيرات والاستجابات، وليس نتيجة سيرورة ذهنية تنظمها العمليات العقلية، حيث تبيّن لهم أن العقل لا دور له في العملية التعلمية وبخاصة في الاكتساب اللغوي التي تعتبر في منظورهم شكل من أشكال السلوك الإنساني.

ب- المنهج البنيوي في تعليم اللغة

والذي سنحاول تناوله من خلال نمذوج المقاربة بالكفايات من بالإجابة هذا السؤال: هل نموذج التدريس بالكفايات بديل موثوق للتدريس بالأهداف السلوكية، هل يعادلها أو يتممها ثم ينميها؟

ليس من نافلة القول التأكيد على أن حركية المجتمع ومرونته في تفاعله الوجودي محليا وعالميا، تلزمه التموقع بين أحد خيارين: يوجد أو لا يوجد، وبالتالي تلزمه ان يعيد النظر والالتفات إلى المؤسسات التي وضعها لتأمين هذه الكينونة ومراجعة الأدوار الموكولة إليها. وتقع المدرسة في قلب هذه المؤسسات، وفعل التدريس أحد تجليات هذه الأدوار، والتغيرات التي يشهدها المجتمع الجزائري، والرهانات التي رسمها تلزمه وضع مقاربات جديدة لفعل التدريس تتجاوز ما كان معمولا به من قبل، والذي لم يعد مسايرا للطموحات والاكراهات (contraintes).

1- مفهوم المقاربة بالكفاءات.

سأتناول المقاربة بالكفاءات من حيث التحديد العلمي لهذا المصطلح وأعني التعريف عند علماء اللسان العربي والأعجمي ثمّ في الاصطلاح وأقصد علماء النفس التربوي.

أ) المقاربة:

لغة: من قَرُبَ قُرْبا وقُربانا وقِربانا: دنا، فهو قريب ().

اصطلاحا: "الانطلاق في مشروع ما، أو حل مشكلة أو بلوغ غاية معينة، وفي التعليم تعني القاعدة النظرية التي تتكون من مجموعة من المبادئ التي يقوم عليها إعداد برنامج دراسي وكذا اختيار استراتيجيات التعليم والتقويم "().

ب) أما الكفاءة في لغة: كافأه على الشيء مكافأة، وكفاءة: جازاه، والكفيء: النظير، وكذلك الكفء، والكُفؤ على وزن فُعل وفعول. والمصدر: الكفاءة بالفتح والمد: وتقول: لا كِفاءة له بالكسر: وهو في الأصل مصدر للفعل كفأ، أي: لا نظير له، ويقال: كافأه يكافئه مكافئه: أي مساوية () - فالكفاءة: مصدر للفعل كفأ: جازى.

- وفي المعجم الوسيط، (الكفء): المماثل، والقوي القادر على تصريف العمل. جمع أكْفاء وكِفاء ... (الكفاءة): المماثلة في القوة والشرف... والكفاءة للعمل: القدرة عليه وحسن تصريفه. (الكُفُؤُ): الكفء، (الكفئ): الكُفُؤُ. ()

- **اصطلاحا:** الكفاية إذن: "حسب القاموس التربوي لفولكي 1971 (p. foulquié) فإن: كلمة compétence مشتقة من اللاتينية compétens ومن الفعل compéter بمعنى الملائمة والمرافقة "

إن الكفاية في التعريف التشومسكي: " تحدّد بأنها المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، التي هي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة"() والمعرفة الضمنية أي الفطرية innée التي يمتلكها جميع الأفراد عن لغتهم،

أمّا فليب بيرنو (F. Perrenoud): فيقترح التخلص من دلالة المفهوم اللساني للكفاية من أجل إعادة بنائه في التربية فيقول: "الكفاية هي القدرة على التصرف بفاعلية في نمط معين من الوضعيات"()،

وعند كزافي روجيرس (Xavier Rojers) "الكفاية هي إمكانية الفرد وقدرته على تعبئة مجموعة مندمجة من الموارد (معارف ومهارات ومواقف) بكيفية مستبطنة، بهدف حل عشيرة من الوضعيات – المسائل"().

ومن كل هذه التعريفات جدير بالذكر إذن القول بأن مفهوم الكفاية لا يأخذ مفهوما واحدا بل إنه وكما وصفه لبوترف (LEBOTERF) مفهوم حربائي() مما يدل على تنوع وتعدد دلالاته.

في حين تعني الكفاءة الجانب الكمي فقط (التكوين) باعتبارها الحصول على اكبر قدر ممكن من العائد بأقل كلفة وجهد ممكنين.

4- الخلفية النظرية للمقاربة بالكفايات:

إن التصور البيداغوجي للكفاية جاء بعد مقاربات كثيرة في مجالات وتخصصات معرفية غير التربية والتعليم والتكوين؛ وذلك ما جعل تصورات تربوية كثيرة تتأثر بمفاهيم وتصورات تنتمي لتلك التخصصات.

ففليب جونير مثلا يرى () أن تصورات علوم التربية للكفاية تتوزع إلى مدرستين نظريتين إحداهما أنجلوساكسونية والأخرى فرانكفونية تمثلان المرجعية العامة للمقاربة بالكفايات رغم كل التفريعات في التعاريف العديدة لهذه المقاربة.

أ- المدرسة الأنجلو سكسونية:

يعود إدخال مفهوم الكفاية في البرامج الدراسية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى سنوات الستينيات من القرن العشرين. بحيث انحصر مفهوم الكفاية في التصور السلوكي: في السلوكات les comportements، السلوكات القابلة للملاحظة.

ب- المدرسة الفرنكوفونية: يشمل هذا التيار أسماء كثيرة مثل دهينوت وميريو وجيلي وجونير ولوراريس (1991) وبلتي وريبنال (1990) وريوني وبيرنو (1997) وبولاسيو وبوسمان وروبجرس (2000) إلخ... (سويسرا، بلجيكا، كندا).

ويلاحظ في آراء رواد هذه المدرسة في مجال المقاربة بالكفايات أنهم طبعوها بصبغة ديداكتيكية حقيقية،

ج- المقاربة السوسيوبنائية للكفاية (نظرية بياجي Jean Piaget (1896-1980):

ولكنّ المدرستين تعودان إلى إطار نظري واحد إنه السوسيوبنائية. ليست السوسيوبنائية منهجا ولا اتجاها بيداغوجيا بل هي براديغم إبستمولجي للمعرفة. البراديغم الإبستمولوجي للمعرفة هو إطار مرجعي عام، يقيم تمفصلا بين المفاهيم والمقولات الموجهة والقائدة للفكر والعمل بالنسبة لأولئك الذين يهتمون بالمسائل المتعلقة ببناء المعارف واكتسابها وتغييرها ووصفها أوتنميتها. " فالبنائية تعطي الأسبقية المطلقة للذات العارفة في بناء المعارف، كما ان المعرفة تبنى ولا تعطى جاهزة من العالم الخارجي، أو هي مجرد نسخة عنه." ().